الحروب الصليبية

جذورها
دوافعها
وأسباب نجاح
الحملة الأولى

• د. شفيق جاسر أحمد محمود •

الصراع بين المشرق والمغرب عبر التاريخ:

الصراع بين المشرق والمغرب قديم قدم التاريخ نفسه، وكأن الله تعالى قد شاء أن يكون جناحا العالم القديم في اضطراب وتصادم دائمين، إذ طالما قامت الحروب بين الفرس من الشرق واليونان والرومان والبيزنطيين من الغرب، ثم خلف المسلمون الإمبراطورية الفارسية وورثوا هذا العداء ودخلوا في ذلك الصراع.

فمنذ أن دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة بيت المقدس فاتحاً سنة ٦٣٨م (١٥هـ) اتقدت نيران لم تنطفىء بين المسلمين والنصارى (الصليبيين)، فكانت حرباً طويلة عنيفة بينهم وبين البيزنطيين تمكن المسلمون خلالها من إزالة سلطانهم عن الشام ومصر وشمال أفريقية، ثم اشتبكوا في حروب طويلة طاحنة ضد الأسبان فأزالوهم وأقاموا في أرضهم دولة إسلامية ازدهرت قروناً عديدة.

وواصل المسلمون زحفهم على الجناح الغربي، وتوغلوا داخل أوروبا نفسها وعبروا جبال البرانس، ولامسوا جنوب فرنسا وأجزاء من إيطاليا، وخاضوا مع الفرنجة (الميروفنجيين) معارك طاحنة، تمكن خلالها شارل مارتل من إيقاف تقدم المسلمين في معركة بلاط الشهداء (تور) سنة ٧٣٢م (١١٣هـ) ومع ذلك لم ينقطع ضغط المسلمين عن الجبهة الغربية الفرنسية الإيطالية رغم كفاح الفرنجة (الكارولنجيين) ضدهم.

أما في المشرق فاستمرت الحرب سجالاً بين المسلمين والبيزنطيين، حاول المسلمون خلالها مراراً فتح القسطنطينية، وكادوا ينجحون في ذلك، وقد بلغت انتصاراتهم أوجها في معركة ملاذكرد، التي انتصر فيها ألب أرسلان السلجوقي على إمبراطور بيزنطة ما نويل عام ١٠٧١م (٤٦٣هـ) وأخذه أسيراً مع كبار قادته، و لم يطلقه إلا مقابل فدية كبيرة، وبعد أن زوج أبناءه الثلاثة من بناته، فارسل البيزنطيون يستنجدون بالأوروبيين، الذين فجعهم الخبر فهبّوا مسرعين لنجدتهم بعد أن شعروا بالخطر الإسلامي يطرق أبوابهم، فكانت الحروب الصليبية التي شملت القسطنطينية، والشام، ومصر وتونس، ودامت قرابة القرنين.

ولكن انتهاءها لم يثن المسلمين عن محاولاتهم هزيمة البيزنطيين، فاستولوا على عاصمتهم القسطنطينية على يد محمد الفاتح العثماني سنة ١٤٥٣م (٨٥٦هـ) ودقوا بحوافر خيولهم حصون فينا، فكان هذا رداً موازياً لما أحرزه الصليبيون في الجناح الغربي من استيلاء على معظم دول الطوائف في أسبانيا وما ألحقوه بالمسلمين فيها وفي جزر البحر المتوسط ككريت وصقلية وغيرهما.

ولم تنته الحروب الصليبية بعد، حيث إنها لازالت مستعرة، تشب حيناً وتخبو حيناً، وتتخذ مظاهر متعددة، فهي بالحرب والقتال تارة، وبالاستعمار الاقتصادي والسياسي والفكري تارة ثانية وبالتبشير والتغريب تارة ثالثة. ولا أدل على استمرارها من تكالب الدول الأوروبية على الخلافة العثمانية، ومن الدعم غير المحدود الذي تلقاه الدولة الصهيونية في فلسطين من أوروبا وحليفها الجديد أمريكا، فالصهيونية المتمثلة في إسرائيل التي تطمع في الاستيلاء على الأراضي الإسلامية، وضرب الإسلام، وهي حليف طبيعي لهذه الدول، وهي الوجه الآخر للصليبية، وينطبق عليهم وعليها المثل القائل (عدو عدوى صديقي).

ومن الشواهد الواضحة رسوخ العداء للإسلام والمسلمين في عقول الصليبيين، ما قاله الجنرال البريطاني (اللورد اللنبي) الذي دخل القدس فاتحاً عام ١٩١٧م حيث قال «الآن انتهت الحروب الصليبية»[١].

وما قاله حليفه بعد ذلك التاريخ بقليل، الجنرال غورو الفرنسي عندما دخل دمشق سنة ١٩٢٠م، فوضع قدمه على قبر صلاح الدين وقال مستهزءاً «قم يا صلاح الدين أنا هنا..»[٢].

وإننا وإن كنا في هذه الأيام في حالة ضعف وتفكك مكنتهم من تحقيق أهدافهم في قهرنا واغتصاب أرضنا، فإن هذا لن يطول ــ بأمر الله ــ فالأيام دول، والحرب سجال، والأمة التي انجبت خالداً وصلاح الدين، ومحمد الفاتح، والب أرسلان، لم تعد عقيماً، وإسرائيل مهما بلغت من القوة والعدو، فلن تبلغ ما بلغه الصليبيون والتتار والانجليز والفرنسيون ومن قبلهم الروم والفرس.

تعريف اصطلاح «الحروب الصليبية»:

يمكن تسمية كل الحروب التي خاضتها الجيوش الأوروربية ضد المسلمين بالحروب الصليبية. ولكن اصطلاح «الحروب الصليبية» هو تسمية مستحدثة أطلقها المؤرخون على الغزو الأوروبي للأراضي المقدسة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، (الخامس الهجري) والذي أشعله البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٥م (٤٨٨هـ تحت شعار تخليص القبر المقدس[٣].

وقد عرفها الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابه الحركة الصليبية بأنها «حركة كبيرة نبعت من الغرب الأوروبي المسيحي في العصور الوسطى، واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على بلاد المسلمين، وبخاصة في الشرق الأدنى، بقصد امتلاكها»(٤).

وقيل إنها سميت بالحروب الصليبية لأن المشاركين فيها جعلوا شعارهم صلباناً من القماش يخيطونها على صدورهم فوق ملابسهم.

آراء المؤرخين عبر العصور في الحروب الصليبية:

اختلفت آراء الدارسين للحروب الصليبية، تبعاً لاختلاف أفكارهم، ومذاهبهم وتصوراتهم لأسبابها، فالمتدينون منهم كجلبرت اف نوجنت ــ الذي عاش في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي ــ قال عنها: «إنها وسيلة جديدة أرادها الله للبشر من أجل التكفير عن الآثام ولغاية الخلاص»(٥).

ووصفها وليم الصوري ــ الذي شهد أحداثها الأولى ــ بأنها «كفاح بين المسيحيين والفرس، بدأ منذ استيلاء الفرس على القدس سنة ٦١٤م، ونهبهم الصليب المقدس، ثم استؤنفت بين المسلمين والمسيحيين منذ سقوط القدس سنة ٦٣٨م (١٥هـ) بأيدي المسلمين(٦).

واعتبرها المؤرخون البروتستنت «بدعة» استغل فيها البابوات الأوهام ليوسعوا سلطانهم»(٧).

وسماها أتباع الفلسفة العقلية في عصر النهضة بأنها «مجرد اندفاعات عاطفية أنتجتها جاهلية العصور الوسطى»(٨).

وعرّفها المؤرخان المعاصران سترير ومنمرو بأنها «حركة رومانسية كبرى في تاريخ العصور الوسطى، ومظهر من مظاهر التجديد والنشاط للمجتمع الأوروبي، وهي حركة توسع ديني ودنيوي»(٩).

ووصفها فيزليف بأنها «من أهم مراحل الصراع بين المسيحيين والمسلمين منذ القرن السابع، ومع ذلك فلم يكن الصراع نقياً بل امتزجت فيه أغراض دنيوية بجانب غرض تخليص الأراضي المقدسة»(١٠).

وقال عنها رنسيمان «سواءاً كانت الحروب الصليبية من أعظم المغامرات الرومانسية أم أنها كانت آخر الغزوات البربرية، فإنها تمثل واقعاً أساسياً في العصور الوسطى، إذ كان مركز الحضارة في بداية تلك الحروب، البلاد البيزنطية والأراضي الإسلامية، وما أن أوشكت على الانتهاء حتى أصبح زمام الحضارة في الأقطار الغربية، وتولد من ذلك الانتقال، التاريخ الحديث لأوروبا»(١١).

ورأى فيها ماريوت «مظهراً من مظاهر المسألة الشرقية الذي تمثل بهذا الصراع الأبدي بين الشرق والغرب»(١٢).

ووصفها ابن الأثير بأنها حرب ثأرية(١٣).

أسباب الحروب الصليبية:

يعزو المؤرخون أسباب قيام أوروبا بشن هذه الحروب إلى عدة عوامل هي:

العامل الديني:

أدت حركة الإحياء الديني التي عمت بعض أنحاء أوروبا في القرنين العاشر والحادي عشر، إلى خروج البابا متمتعاً بسلطات دينية ودنيوية غير محدودة، فأصبح الآمر الناهي في أوروبا، مما جعله يتطلع إلى توحيد الكنيستين الأرثوذكسية، واللاتينية بعد أن تقاطعتا سنة ١٠٥٤م، وفرض زعامة كنيسة روما اللاتينية على كافة أنحاء العالم المسيحي(١٤).

وقد رافق حركة الإحياء الديني هذه حماسة دينية شديدة وإقبال على تفهم الدين، والتقيد بتعاليمه وخصوصاً تلك التي تحض على أن يعم السلم بين النصارى وأن يتوقف القتال فيما بينهم(١٥).

لذلك وجدت البابوية في الحروب الصليبية متنفساً توجه إليه طاقة الحرب التي توقفت بين النصارى، نحو المسلمين، بغرض تحقيق هدف سام، وهو تحرير القبر المقدس والأراضي المقدسة من أيدي (المسلمين)(١٦)

فكانت المجامع الكنيسية تربط ما بين السلام الإلهي والحروب الصليبية(١٧).

وهذا يحقق للبابوية حماية الأماكن المقدسة وادارتها وتأمين سلامة الحجاج(١٨).

كما أن ازدياد سلطة البابا، دفعت ملوك أوروبا وأمراءها إلى التسابق في إرضائه، خوفاً من قرارات الحرمان، ولا يستبعد أن يكون لكل منهم هدفه الخاص، كحب الظهور، والشهرة، والحصول على مكاسب خاصة.

وقد كان للتعصب الديني لدى بعض هؤلاء أثر واضح في سلوكهم تجاه المسلمين، أدى بهم إلى القسوة في ذبح المسلمين في القدس وعكا وغيرهما دون رحمة، وإصرار بعضهم على الوصول إلى الحجاز للاعتداء على جثمان الرسول صلى الله عليه وسلم، كما فعل ريجنالدشاتيون (ارناط) صاحب الكرك سنة ٥٧٨هـ ١١٦٢م(١٩).

العامل الاقتصادي:

ففي القرن الحادي عشر ظهرت في أوروبا بوادر نشاط اقتصادي، دفعتها للتطلع لامتلاك أقاليم جديدة، خارج أوروبا، فتطلعت إلى آسيا برغبة ملحة في امتلاك أراضي النصارى والمسلمين فيها، وامتلاك خزائنها وثرواتها التي لا تحصى، وقد ظهر هذا جلياً في خطبة البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمنت عام ١٠٩٥م التي قال فيها «الحرب ليست لاكتساب مدينة واحدة فحسب، بل لامتلاك أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تحصى، فاتخذوا حجة البيت المقدس، وخلصوا الأراضي المقدسة من أيدي المختلسين لها، وامتلكوها أنتم خالصة لكم دون أولئك الكفار. فهذه الأرض كما تقول التوراة تفيض لبناً وعسلاً...»(٢٠).

هذا بالاضافة لطمع المدن الإيطالية التجارية كجنوة وبيزا والبندقية التي تنافست في امتلاك مواني جديدة على الشاطيء الشرقي والجنوبي للبحر الابيض المتوسط والسيطرة على تجارة الشرق والغرب وأسواقها، فقامت بتشجيع الحروب الصليبية، وحاربت مع الصليبيين مقابل منافع مادية(٢١).

التغير الاجتماعي في أوروبا:

حيث نمت الارستقراطية الإقطاعية، وخاصة في فرنسا، ورغبت هذه الطبقة في التوسع على حساب جاراتها بحثاً عن أراضٍ جديدة خصوصاً وأن قوانين الوراثة تحرم

الأبناء ماعدا الابن الأكبر من امتلاك جزء من ميراث أقاربهم، وكان من المفروض أن يؤدي هذا إلى صراع داخل أوروبا لو لم توجهه البابوية نحو عدو خارجي، وبلاد غنية مغرية(٢٢).

كما برزت رغبة الرقيق واقنان الأرض في التحرر من سيطرة الإقطاعيين، ورغبة الفرسان والشجعان في المغامرة، وإظهار بطولاتهم، خاصة إذا كانت ستقترن بهدف ديني(٢٣).

كما سادت في ذلك العصر بعض التقاليد الدينية بين هؤلاء الفرسان خصوصا في فرنسا كالدفاع عن الدين وعن الضعفاء، حيث أصبح الفارس الفرنسي صليبياً مخلصاً، مما جعل هؤلاء الفرسان عماد القوة الصليبية، وجعل فرنسا تحمل العبء الأكبر في هذه الحروب، سواء على عواتق ملوكها أو امرائها أو فرسانها أو أساقفتها أو كتابها أو مؤرخيها وشعرائها(٢٤).

الأحوال في المشرق قبيل الحروب الصليبية:

منذ أن استولى الاتراك السلاجقة على السلطة الفعلية في بغداد سنة ١٠٥٥م (٤٤٧هـ) أصبحوا يشكلون خطراً على الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية في مصر والشام، وبلغ خطرهم ذروته بعد معركة ملاذكرد التي سبق ذكرها، حيث تمكن الملك السلجوقي ألب أرسلان من أسر الإمبراطور البيزنطي عام ١٠٧١م (٤٦٣هـ) مع معظم قادته، ولم يطلق سراحه إلا بعد دفعه فدية مهينة، مما دفع البيزنطيين للاستنجاد بأوروبا للوقوف معهم أمام المد الإسلامي الخطير، فبادرت أوروبا التي أفجعها الخبر إلى حشد قواها، وتكاتف قادتها على ما بينهم من خلافات دينية ودنيوية لصد هذا الخطر وتخليص القبر المقدس والأراضي المقدسة من أيدي المسلمين.

وفي هذه الأثناء اشتد النزاع بين السلاجقة السنيين والفاطميين الشيعة حول بلاد الشام ورغبة كل منهم في السيطرة عليها، فانتزعها السلاجقة من الفاطميين، على يد اتسزبن أوق والي الشام السلجوقي، الذي حاصر دمشق مدة ثلاث سنوات قبل أن يستخلصها من الفاطميين سنة ١٠٧٦م (٤٦٨هـ)، واستولى أخوه شكلي بن أوق على عكا وطبرية من أيدي الفاطميين سنة ١٠٧٥م (٤٦٧هـ).

وقد طمع اتسز السلجوقي بفتح مصر نفسها، حيث توجه نحوها سنة ١٠٧٦م (٤٦٩هـ) قاصداً محو الدولة الشيعية، واستبدالها بالدعوة السنية العباسية لحساب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان وخليفته، ولكنه فشل في ذلك فرجع مهزوماً، مما أطمع فيه أهل الشام(٢٥) فثاروا عليه، ومنهم أهل القدس الذين ثاروا بقيادة القاضي والشهود، فاستولوا على أموال اتسز وأولاده وكان قد وضعها في القدس ــ فافقده ذلك صوابه فاقتحم المدينة وقتل ثلاثة عشر ألفاً من أهلها بمن فيهم القاضي والشهود(٢٦).

واغتنم بدر الجمالي ضعف موقف اتسز فحاول استرداد الشام سنة ١٠٧٧م (٤٧٧هـ) ولكنه لم يفلح في ذلك(٢٧).

وبعد موت اتسز انتقل حكم دمشق إلى تاج الدولة أخ السلطان ملكشاه(٢٨) فاقطع الأمير أرتق بن أكسب التركماني مدينة القدس وأعمالها(٢٩) وأقطع ملكشاه حلب وحماه واللاذقية إلى قسيم الدولة اقنقر، جد نور الدين زنكي(٣٠).

وقد ظل بدر الجمالي يحاول استرداد الشام دون جدوى، فلم يلبث أن توفى هو نفسه سنة ١٠٩٤م (٤٨٧هـ) وتولى بعده ابنه الأفضل شاهنشاه(٣١) الذي بلغ به كره السلاجقة حداً جعله يحاول التحالف مع الصليبيين ضدهم، معتقداً أن ذلك يوفر له إمكانية الاحتفاظ بالقدس وبعض بلاد الشام فكان عمله هذا خطأً فادحاً لا يغتفره التاريخ له لأنه ألحق بالمسلمين وببلاد الإسلام أذى دام مائتي عام، أزهقت خلالها مئات الآلآف من الأرواح، واستبيحت الحرمات وخُرّبت البلاد، وأجبر الكثير من المسلمين على التنصر.

فقد قام الأفضل هذا باحتلال القدس من أميريها السلجوقيين سكمان وايلغازي عام ١٠٩٨م (٤٩١هـ) أي قبل عام من سقوطها بأيدي الصليبيين بعد أن حاصرها أربعين يوماً، وهدم جانباً من أسوارها، ثم غادرها بعد أن عين عليها والياً هو افتخار الدولة(٣٢) في الوقت الذي كانت فيه الحملة الصليبية الأولى في طريقها إليها(٣٣) فقد اجتازت البسفور سنة ١٠٩٧م (٤٩٠هـ) وحاصرت أنطاكية حتى فتحتها ١٠٩٨م (٤٩١)(٣٤).

ولا يفوتنا أن نبين أن بعض السلاجقة أثناء سيطرتهم على الشام عامة وعلى القدس خاصة قد قاموا بمضايقة بعض الحجاج النصارى لحاجتهم إلى المزيد من الأموال، ولحساسيتهم للمظاهر الاحتفالية التي كان الحجاج النصارى يتخذونها خلال دخولها الأماكن المقدسة من قرع الطبول والصنوج وإشعال المشاعل. فكان هذا سبباً في إغضاب بعض هؤلاء الحجاج وعلى رأسهم بطرس الناسك الذي قام بتضخيم الأمر أمام الأوروبيين والبابا مستغلاً مقدرته الخَطابية والاستعداد المسبق لدى البابوية والأوروبيين لكل ما هو معاد للمسلمين(٣٥) فصار الحجاج يفدون على شكل مجموعات كبيرة، كالتي خرجت من نورماندیا سنة ١٠٦٤م (٤٥٦هـ) برئاسة اسقف ميتز وضمت سبعة آلاف حاج(٣٦) والجماعة التي جاءت برئاسة روبرت الأول أمير فلاندرز عام ١٠٨٩م (٤٨٢هـ) والتي كانت مسلحة(٣٧)، مما زاد من تحدي السلاجقة ودفعهم إلى إكراه الحجاج النصارى على دخول القدس بخشوع بدلاً من دخولها على صوت الصنوج وأضواء المشاغل، وصاروا يأخذون منهم فدى، فحل ذلك محل التسامح طوال الحكم الإسلامي(٣٨).

ونعود إلى موقف الأفضل بن بدر الجمالي من الصليبيين، فإنه بدلاً من التوجه لملاقاة الصليبيين أرسل لهم سفارة وهم يحاصرون إنطاكية خوفاً من أن يملّوا من حصارها، ترجوهم مواصلة الحصار، وتعدهم بالمساعدة، وأوصى سفارته بكسب ثقة الصليبيين، وعقد معاهدة صداقة معهم(٣٩).

فاستقبل الصليبيون سفارته بحفاوة، وتسلموا رسالته التي لم يعرف كنهها كما لم يعرف ما اتفقوا عليه، وأرسلوا له سفارة صاحبت سفراءه إلى مصر.

وقد أرسل الأفضل لهم سفارة أخرى وهم يحاصرون طرابلس، تحمل رسائل إلى كل من القادة الصليبيين هنأهم فيها، وطلب منهم التشديد على الأتراك والخلافة العباسية واحتلال أملاكهم، وواعداً الصليبيين بمنحهم امتيازات خاصة، وبالسماح لمجموعات منهم بزيارة القدس، مع ضمان عودتهم سالمين، ولكنهم اعتبروا ذلك إهانة لهم(٤٠).

ويبدوا أن هدف الأفضل من سفارتيه كان الاتفاق مع الصليبيين على ضرب الأتراك السلاجقة في الشام، فسر لمحاصرتهم في إنطاكية، واعتبر إضعافهم نصراً له كما يبدو أنه اتفق معهم على عدم التعرض لأملاكه بدليل توجهه للاستيلاء على القدس، ثم مغادرته لها إلى مصر، وهو مطمئن إلى أنهم لن يهاجموها كما اتفق معهم(٤١).

وقد واصلوا سيرهم فسقطت في أيديهم معرة النعمان وحصن الأكراد(٤٢) وانطرسوس(٤٣) وعرقة(٤٤) ثم وصلوا الرملة في منتصف رجب ٤٩٢هـ (أوائل حزيران ١٠٩٩م).

ولم يتحرك الأفضل لنجدة القدس إلا بعد أن علم بمحاصرة الصليبيين لها، وقد كان لديه متسع من الوقت لإعداد الجيوش، حيث قضى الصليبيون قرابة السنتين منذ تحركهم من سواحل الدردنيل حتى وصولهم القدس، فكان موقفه محل تساؤل وريبة وإثارة للشكوك، حتى اتهمه بعض المؤرخين بالتقصير وحتى بالخيانة، وقال ابو المحاسن، وهو أكبر من تسامح في الحكم عليه عن هذه الحادثة «ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه، مع قدرته على المال والرجال»(٤٥) وتعجب أبو المحاسن من موقف الأفضل فقال: «والعجب أن الفرنج لمّا خرجوا إلى المسلمين كانوا في غاية الضعف من الجوع وعدم القوت، حتى أنهم أكلوا الميتة وكانت عساكر الإسلام في غاية من القوة والكثرة، فكسروا المسلمين وفرقوا جمعهم»(٤٦).

وذكر الدكتور غوانمه «أن سلوك الأفضل هذا كان من أهم عوامل نجاح الصليبيين(٤٧) فالأحوال كانت هادئة في مصر، وكانت قادرة على إعداد الجيوش، بدليل استيلائهم على القدس من سكمان وايلغازي السلجوقيين وأنه لم ينتظر وصول جيوش الصليبيين بعد فتحه للقدس، بل عاد إلى مصر مع علمه بتحركهم نحوها»(٤٨).

هذا مع العلم بأن قوات الصليبيين لم تكن كبيرة تصعب هزيمتها، فحسب رواية وليم الصوري لم يكن عددهم يزيد على ألف وخمسمائة فارس وعشرين ألف من المشاة(٤٩) وذكر الدكتور يوسف غوانمة أن الدراسات الحديثة أفادت بأن عدد جيوش الحملة الصليبية كان ٤٠٠٠ ـــ ٤٥٠٠ فارس موزعين كما يلي:

جيش جودفري بوبون ١٠٠٠ فارس Godfrey of Bouion
جيش روبرت النورماندي ١٠٠٠ فارس Robert of Normandy
جيش ريموند اميرتولوز ١٠٠٠ فارس Remond of Toulouse
جيش بوهمند ٥٠٠ فارس Bohemand
جيش تانكرد ابن أخت بوهمند ٥٠٠ فارس Tancred
جيش روبرت الفلاندرز. ٥٠٠ فارس Robert of Flanders

وكان الأمل الوحيد في مصر خصوصاً بعد أن انهارت مقاومة بعض الأمراء الذين مر بهم الصليبيون كأمير حمص، وأمير طرابلس، وأمير بيروت، وأميرصور وصيدا، حيث كانت مصر أكثر بلاد المسلمين ثروة وقوة(٥١) ولكن الأفضل لم يظهر اهتماماً حيث قال أبو المحاسن: «ومن هذا يظهر عدم اكتراث أهل مصر بالفرنج من كل وجه»(٥١).

وقد أمعن الصليبيون في امتهان الأفضل فردوا على عرضه عليهم السماح لمجموعات منهم بزيارة القدس قائلين: «إن الجيش لن يقبل الذهاب هناك في فصائل صغيرة طبقاً للحالات المقترحة، وعلى النقيض من ذلك فإنه سيزحف إلى القدس كجيش واحد متحد»(٥٢).

من هذا يتضح أن كل الدلائل تؤكد الرأي القائل بأن الأفضل كان يتعاون مع الفرنج، ضارباً بذلك عرض الحائط بمصلحة المسلمين، ومتعامياً عن خطر الصليبيين.

وقد ذكر ابن الأثير «إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم خافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام يمنعوه»(٥٣).

الحملة الصليبية الأولى:

ما أن دعا البابا أوربان الثاني الأوروبيين جميعاً للتوجه نحو الأراضي المقدسة، حتى هب عشرات الآلاف من مختلف الطبقات والأعمار والبلدان إلى التدفق نحو البلاد المقدسة، وكل له هدفه الخاص به، كما بينا في السابق.

ويقسم المؤرخون هذه الجموع التي تدفقت نحو المشرق إلى فئتين:

أ ــ الفئة الشعبية غير المنظمة، المكونة من عشرات الآلاف من الفقراء والجياع، والمغامرين، واللصوص، والمتدنيين، بقيادة أميكو الألماني الذي كان من قطاع الطرق، ثم ادعى أن الله وعده بأمبراطورية القدس وادعى المقدرة على الاتيان بالمعجزات(٥٤) وفولكمار وكوتشالك الألمانيين، وقد شارك هؤلاء الثلاثة في القضاء على اليهود في المانيا والمجر، فأبادهم ملك المجر(٥٥).

ومن قادة هذه الفئات الشعبية ولتر المغلس، وبطرس الناسك فقد وصلوا إلى القسطنطينية ثم أفنى البيزنطيون معظمهم لكثرة اعتداءاتهم على البلاد التي يمرون بها(٥٦) وأكمل السلاجقة القضاء على من وصل منهم إلى جهات نيقية السلجوقية، حتى شكلت عظامهم أكواماً عالية كالروابي والتلال والجبال(٥٧) وبذلك فشلت حملتهم قبل أن يصلوا إلى هدفهم.

ب ــ الفئة الارستقراطية: التي قادها أمراء متعددون، وضمت فرساناً منظمين محترفين ومنضبطين إذا ما قورنوا بأفراد الفئة الشعبية، وبدأ تحركها نحو القسطنطينية عام ١٠٩٦م (٤٨٩)(٥٧) ومن أهم قادتها جود فري امير اللورين السلفى، الذي اشترك للتكفير عن سيئاته(٥٨) وكان يقود ثمانين ألف راجل وعشرة آلاف فارس(٥٩)، والأمير هيوفرمندوا (هيوالكبير) والأمير روبرت النورمندي، وريموند الجيلي أمير طولوز المشهور بمحاربته للمسلمين في أسبانيا، وروبرت الثاني أمير فلاندرز، وبوهيمند النورمندي أمير صقلية.

وقد وصلت هذه الجيوش إلى القسطنطينية بين عامي ١٠٩٦ ــ ١٠٩٧م وشك الأمبراطور البيزنطي الكسيوس في نيات هؤلاء، ولم يكن يرغب في مثل هذه الجيوش الجرارة التي لا تأتمر بأمره، ولكنه عندما استنجد بالأوروبيين إنما كان يطلب بعض الفرق لتنضم إلى جيشه وتحت إمرته،(٦٠) كما أن أمر استعادة الأراضي المقدسة لم تكن تهمه كثيراً.

وزاد من كرهه لهم ما فعلته جيوش جودفري وبلدوين وريموند الجيلي في بلاده من فوضى أدت إلى احتلالهم بعض المدن البيزنطية، مما دفعه لأن يطلب منهم أن يقسموا يمين الولاء له، وأن يتعهدوا بإعادة ما يفتحونه من أراضي السلاجقة التي

غنموها من البيزنطيين بعد عام ١٠٧١م(٦١) إليه. لذلك فقد كره كل من الصليبيين والبيزنطيين بعضهم البعض، فكان الصليبي ينظر للبيزنطي بأنه شخص يفتقد إلى الرجولة، وينظر البيزنطي للصليبي بأنه بربري خشن الطباع(٦٢) ولذلك فقد كان الموقف البيزنطي من الحركة الصليبية سلبياً(٦٣).

اندفعت الجيوش الصليبية من نيقوميديا سنة ١٠٩٧م إلى نيقيا، ففتحوها صلحاً من قبل أرسلان السلجوقي، ثم واصل الصليبيون سيرهم فتوجه بلدوين إلى الرها وأقام بها إمارة صليبية عام ١٠٩٨م (٤٩١هـ) وفرض بقية الصليبيين الحصار على أنطاكية لمدة سبعة أشهر انتهت بفتحها عام ١٠٩٨م بعد خيانة من أحد الأرمن الذي كان قائداً لأحد الأبراج، إذْ تآمر مع الأمير بوهيمند الذي أصبح صاحب إمارة إنطاكية(٦٤).

وواصل الصليبيون بعد ذلك زحفهم نحو هدفهم الأساسي وهو بيت المقدس، فلم يلاقوا مقاومة تذكر، فقدم لهم أمير شيزر الأموال، مقابل عدم تخريب ولايته، وقلده في ذلك بنو عمار في طرابلس، ورضوان حاكم حلب، ونسيبة حاكم حمص(٦٥).

وسارع الصليبيون في التوجه نحو القدس رافضين طلب الأمبراطور الكسيوس بالانتظار قرب طرابلس حتى ينضم إليهم، وذلك لشكهم في نواياه، مصرين على فتح القدس بأنفسهم، حيث قدر **جيشهم بأربعين ألفاً**(٦٦) ، رافضين محاولة الأفضل بن بدر الجمالي للتفاهم معهم كما سبق وبينت.

سقوط القدس بأيدي الصليبيين

وصل الجيش الصليبي إلى القدس مساء الثلاثاء السابع من حزيران عام ١٠٩٩م (٤٩٢هـ) وكان بعض نصارى بيت لحم قد نصحوهم بالإسراع في الحضور خوفاً من أن يتمكن افتخار الدولة حاكم القدس الفاطمي من تقوية أسوارها أو من القضاء على من بها من النصارى(٦٧).

ولما كان موقع القدس حصيناً وسورها متيناً، عسكر الصليبيون في أقل الجهات حصانة، في الشمال والشمال الغربي من المدينة تجاه باب الساهرة وباب العامود، وعلى جبل صهيون(٦٨).

وقام افتخار الدولة حاكم القدس الفاطمي ومعه حوالي ألف محارب بتحصين الأسوار، وطمر الآبار الواقعة خارج المدينة أو تسميمها، وإخراج النصارى وغيرهم من سكان المدينة ما عدا اليهود(٦٩)، وأرسل يطلب النجدة من القاهرة.

وقد تضايق النصارى لقلة الماء والطعام، وشدة الحر، وكثرة التراب ومضايقة المسلمين لهم في المنطقة، وخشوا من وصول نجدة فاطمية للمدينة، فشنوا هجمات شديدة على المدينة دون جدوى(٧٠) فرأوا أن يعدوا أبراجاً لثقب الأسوار، وهذا كلفهم جهداً ووقتاً طويلين، مما تسبب في اختلافهم حول امتلاك مدينة بيت لحم وحول مستقبل القدس، بالإضافة للنزاع بين الأمراء ورجال الدين، مما دفع بعضهم للعودة إلى بلادهم(٧١).

وفي مساء الثالث عشر من تموز عام ١٠٩٩م شددوا الهجوم على المدينة، وطمروا الخندق المحيط بسورها وتمكنوا من دخولها وكان عددهم ١٢ ألف راجل و١٠٠٠ فارس وعدداً كبيراً من الحجاج(٧٢) فهرب المسلمون نحو المسجد الأقصى ليجعلوه خطاً لدفاعهم، ولكنهم فشلوا في ذلك فاستسلموا لتنكرد الذي أمَّنهم مقابل أن يدفعوا له فدية، فرفعوا علمه فوق الصخرة، ولكنه لم يف بوعده، كما انسحب افتخار الدولة بجيشه من المدينة بعد أن دفع فدية لريموند، وانضم إلى الحامية الفاطمية بعسقلان(٧٣).

المذبحة:

قام الصليبيون بمجازر بشعة في مختلف البلدان التي فتحوها في طريقهم إلى القدس، ولكنها بلغت أوجها من الوحشية والقسوة في القدس نفسها، فتناسى الصليبيون المعاملة الطيبة التي عاملهم بها المسلمون عندما فتحوا القدس وبلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب، ومالوا على المسلمين يذبحونهم ويقطعون أطرافهم، ويلقونهم من على الأسوار، غير مفرقين بين شيخ وطفل، ورجل وامرأة، حتى أن بشاعة أعمالهم هذه لا تزال تتناقلها الأجيال بتقزز واشمئزاز حتى من قبل بعض الصليبيين أنفسهم.

واقتطف هنا بعض الأوصاف التي وردت في المصادر النصرانية لهذه المذابح حتى ندينهم من أفواههم:

- ذكر الكاهن ريموند داجيل خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر (المسجد الأقصى) فقال: «لقد افرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الايدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا إتصل ذراع بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعث من ذلك إلا بمشقة»(٧٣).

- وقال وليم الصوري «إن بيت المقدس شهد عند دخول الصليبيين مذبحة رهيبة حتى أصبح البلد مخاضة من دماء المسلمين، أثارت خوف الغزاة واشمئزازهم»(٧٤).

- وذكر مؤرخ صليبي حضر تلك الأحداث وشاهدها أنه عندما زار الحرم الشريف أثناء المذبحة الرهيبة التي ارتكبها الصليبيون، لم يستطع أن يشق طريقه وسط أشلاء المسلمين إلا بصعوبة بالغة وأن دماء القتلى بلغت ركبتيه(٧٥).

- وذكر غوستاف لوبون إن آن كومنين بنت قصير الروم قالت: «وكان من أحب ضروب اللهو إليهم قتل من يلاقون من الأطفال، وتقطيعهم إرباً إرباً وشيهم»(٧٦).

- وذكر أحد الرهبان الأتقياء واسمه روبرت، وهو شاهد عيان» وكان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها، وكانوا يذبحون الشبان والشيوخ، ويقطعونهم ارباً ارباً، وكانوا لا يستبقوا إنساناً، وكانوا يشنقون أناساً كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، فيا للعجب ويا للغرابة، أن تذبح تلك الجماعة الكبيرة المسلحة بأمضى سلاح، من غير أن تقاوم. وكان قومنا يقضون على كل شيء يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعاً ذهبية، فيا للشره وحب الذهب.

  وكانت الدماء تسيل كالانهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث، فيا لتلك الشعوب العمي المعدة للقتل، ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية ديناً.

ثم أحضر بوهيمند جميع الذين اعتقلهم في برج القصر، وأمر بضرب رقاب عجائزهم وشيوخهم وضعافهم، ويسوق فتيانهم وكهولهم إلى انطاكية لكي يباعوا فيها»(٧٧).

- وقال كاهن مدينة لوبوي ريموند داجيل «حدث ما هو عجيب بين العرب، عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا..»(٧٨).

- كما اضاف كاهن مدينة لوبوي، ريمون داجيل «وأراد الصليبيون أن يستريحوا من عناء تذبيح أهل القدس قاطبة فانهمكوا في كل ما يستقذره الإنسان من ضروب السكر والعربدة»(٨٠).

- لقد شبه بعض المؤرخين النصارى الصليبيين بالمجانين كما وصفهم برنارد الحازن، وشبههم بودات رئيس أساقفة دُولَ، بالفروس التي تتمرغ في الأقذار(٨١).

- وقال مؤلفا تاريخ القدس ودليلها (ص ٢٨) وهما نصرانيان:

  «وأما ما عمله الصليبيون من الفظائع والمنكرات، وما أجروه من التوحش والهمجية في المكان الذي صُلب فيه سيدهم وقُبر، عما يندى له جبين المسيحي اليوم حياء وخجلاً، فإن المسيح قد علَّم تلاميذه أن يحبوا أعداءهم، ولكن الصليبيين الذين كان شعارهم الصليب المقدس، لم يبقوا على امرأة ولا على طفل ولا على شيخ وكان قد هرب كثيرون من المسلمين إلى الحرم الشريف فتبعهم الفاتحون وذبحوهم هناك».

- لقد افتخر أحد الصليبيين بما فعله قومه بالمسلمين فقال «حتى أن جنودنا كانوا يخوضون حتى سيقانهم في دماء المسلمين»(٨٢).

- أما اليهود فقد فرّوا إلى معبدهم الكبير، فأشعل فيهم الصليبيون النار داخل المعبد بحجة أنهم ساعدوا المسلمين فلقوا مصرعهم محترقين.

وصف المصادر الإسلامية لسقوط القدس بأيدي الصليبيين:

ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٤٩٢هـ.

«ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان أخذت الفرنج بيت المقدس وكانوا في نحو ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين. قال ابن الجوزي: وأخذوا من حول الصخرة ٤٢ قنديلاً من فضة زنة كل منها ٣ آلاف وستمائة درهم، وتنّوراً من فضة زنته أربعون رطلاً بالشامي وثلاثة وعشرين قنديلاً من ذهب، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق..»(٨٣).

قال ابن الأثير يصف فظائع الصليبيين في القدس:

«وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا فيه وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الأفرنج الأمان فسلموه إليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا لبلاد عسقلان فأقاموا بها. وقتل الفرنج في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاث آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا من القناديل مائة وخمسين قنديلاً ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً وجمع مالا يقع عليه الإحصاء»(٨٤) فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتاب فضائل القدس «وأخذ الفرنج بيت المقدس يوم الجمعة ثالث وعشرين شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وقتلوا زائداً عن سبعين ألف مسلم»(٨٥)

وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء(٨٦) ومنها أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف، وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً، منهم جماعة من العبّاد والزهّاد، وهدموا المشاهد(٨٧) وجمعوا اليهود في الكنيسة(٥) وأحرقوها عليهم...».

• الهوامش •

(١) صالح مسعود بوصير، جهاد شعب فلسطين في نصف قرن، دار الفتح، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨ (ص ٦٥). عن بحوث مؤتمر فلسطين في لندن عام ١٩٣٩م.
د. أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، ٣ أجزاء مطبعة الحلبي بمصر، ج٣ ص ١١.

(٢) انظر صالح مسعود بوصير، المرجع السابق (ص ٧١).

(٣) د. عبد القادر اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٩٦٩م (ص ٣٨).

(٤) د. عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية ج١ ط١ القاهرة ١٩٧١م (ص ٢٥).

(٥) د. عبد القادر اليوسف (ص ٣٢).

(٦) د. عبد القادر اليوسف. المرجع السابق (ص ٣٢).

William of Tyre, History of deeds done beyond the sea. Tran, Babcock and Krey, (N.Y. 1943)

(٧) انظر د. عبد القادر اليوسف، المرجع السابق (ص ٣٢)

Newhall, R. The CRUSADES, (N.Y.1963) P.4

(٨) انظر د. عبد القادر اليوسف، المرجع السابق (ص ٣٢، ٣٣)

Gibbon, E. The Decline and Fall of the Roman Empire. Vol 6 (london 1964) .P.104

(٩) انظر نفس المرجع السابق (ص ٣٣)

Strayer and Munro The Middle Ages, 395-1500 (N.Y.1944) P.84

(١٠) انظر د. عبد القادر اليوسف، المرجع السابق (ص ٣٣).

Vasiliev, A. A History of the Byzantine Empire, 4. Vols (Madison 1964) P. 389.

(١١) انظر د. عبد القادر اليوسف، المرجع السابق (ص ٣٣)

Runciman , S. A History of the Crusades, Vol, I, (Cambridge, 1957) P. 11

(١٢) انظر د. عبد القادر اليوسف، المرجع السابق (ص ٣٤).

Marriott. J. The Eastern Question. (oxford, 1958) P.1

(١٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٤ — ١٩٦٥م حوادث سنة ٤٩٥.
انظر د. عبد القادر اليوسف، المرجع السابق (ص٣٤)

(١٤) عاشور، أوروبا العصور الوسطى ــ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤م (٤٤٧/١).

(١٥) د. فايد، حماد محمد: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة ١٩٨١م (ص ٧٨).

(١٦) د. فايد، حماد، المرجع السابق (ص ٧٨).

(١٧) باركر، مجلد تاريخ الإسلام، تعريب: علي أحمد عيسى (٩٢/١).

(١٨) د. نظير حسان، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي (ص ٦)، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١م.

(١٩) د. فايد حماد، المرجع السابق (ص ٧٩).

(٢٠) د. نظير حسان، مرجع سابق (ص ٦) عن: باركر، آرنست، الحروب الصليبية، تعريب علي أحمد عيسى ضمن مجلد تراث الإسلام طبعة ١٩٦٣م، ح١ ص ٩٢.

لم يتم تدوين النص الحرفي لخطبة البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت عام ١٠٩٥م. وإنما وردت في كتب التاريخ مقتطفات وترجمات من تلك الخطبة رويت فيما بعد منها ما أوردته في المتن ومنها ما أورده F. Ogg. Source Book of Medieval History (N.y. 1907) P. 484 - 488. حيث جاء فيه «.. إنّ الأرض التي تعيشون الآن عليها المحصورة بين البحار والجبال، لهي أضيق من أن تستوعبكم. لهذا فأنتم تقتلون بعضكم بعضاً، وهلك منكم كثير..».

وقال «.. وامتلكوها لأنفسكم (أي الأرض) إن القدس من أكثر بلاد الدنيا ثماراً فهي جنة الأفراح ومركز الدنيا، تناشدكم المساعدة فاقصدوها بكل شوق، تغفر لكم ذنوبكم، وجزاؤكم دار الخلود...».

(٢١) د. فايد حماد محمد، المرجع السابق (ص ٧٩).
عاشور، المرجع السابق (٤٤٧/١).

(٢٢) سعداوي، د. نظير حسان، المرجع السابق (ص ٦).

(٢٣) د. فايد حماد محمد، المرجع السابق (ص ٧٩).

(٢٤) فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة زيادة (١٧٧/١ ــ ١٧٩) سعداوي د. نظير حسان، الحرب والسلام (ص ٧).

(٢٥) د. غوانمة، يوسف، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، دار الفكر، عمان (ص ١١٦).

(٢٦) الذهبي، محمد بن أحمد، دول الإسلام تحقيق فهيم شلتوت، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م (٤/٢). انظر. غوانمة، المرجع السابق (ص ١١٧).

(٢٧) الذهبي، المرجع السابق (٤/٢).

(٢٨) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة ١٩٦٣م (ص ١٢،٧).

(٢٩) نفس المرجع السابق (ص ٧).

(٣٠) نفس المرجع السابق (ص ٨).

(٣١) هو أبو القاسم شاهنشاه، الملك الأفضل بن أمير الجيوش، بدر الجمالي، كان والده أرمنيا، تولى دمشق للخليفة الفاطمي المستنصر بالله مرتين، ثم فر أمام ثورة أهلها إلى عكا، فاستدعاه الخليفة وقلده الوزارة سنة ١٠٧٣م (٤٦٦هـ) فأصلح الدولة.

ولد ابنه الأفضل في عكا سنة ١٠٦٦م (٤٥٨هـ) تدرب على يدي أبيه وتقلد الوزارة بعده، وانشغل مع السلاجقة في حرب طاحنة محاولاً استرداد الشام، حتى تآمر مع الصليبيين ضد السلاجقة أو تهاون بشكل مخز عن مقاومتهم والدفاع عن القدس.

انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨م (٣٣٨/٦)، المقريزي، اتعاظ الحنفا (٢٩/٣).

(٣٢) المقريزي، المرجع السابق (٢٢/٣).

الذهبي، دول الاسلام (٢٠/٢ — ٢١).

(٣٣) Fulcher of Chartre, A History of the expedition to Jerusalem. Tran by Rita (New york 1973)

(٣٤) William of Tyre, OP. Cit. P 155

(٣٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، بيروت ١٩٠٨م (ص ٩٦ — ١٠٩).

(٣٦) د. فايد حماد محمد، المرجع السابق (ص ٧٩).

(٣٧) نفس المرجع السابق.

(٣٨) د. نظير حسان، الحرب والسلام (ص ٩) نقلاً عن غوستاف لوبون حضارة العرب، الطبعة الثانية (ص ٣٩٥).

(٣٩) William of Tyre. OP. Cit. 444

(٤٠) غوانمة، المرجع السابق (١٢٤).

(٤١) نفس المرجع السابق.

(٤٢) حصن الأكراد: قلعة بين حمص وطرابلس. انظر لي سترانج: فلسطين في العهد الإسلامي (ص ٣٢٠).

(٤٣) انطرسوس: مدينة صغيرة، وهي فرضة حمص على الساحل لها سور حصين، تقع قربها جزيرة أرواد. (الأدريس: القسم الخاص بفلسطين وسوريا، من نزهة المشتاق بون ١٨٨٥م (ص ٢٠).

(٤٤) عرقة: مدينة عامرة على ساحل البحر المتوسط قرب طرابلس في وسطها حصن، كثيرة التجارات الأدريسي: القسم الخاص بفلسطين وسوريا من نزهة المشتاق، بون، ١٨٨٥م (ص ٢٠).

(٤٥) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (١٥٩/٥).

(٤٦) نفس المرجع السابق (١٤٨/٥).

(٤٧) د. غوانمة، مرجع سابق (١٢١).

(٤٨) William of Tyre, oP,Cit 349

(٤٩) د. غوانمة، حاشية (ص ١٣٦)حاشية نقلاً عن Martin Erbstosser, The Crusades, Translated from German by C.s. Sait, London, 1979 P.91

تباينت الروايات حول عدد الجيوش التي شاركت في الحملة الصليبية الأولى، وذلك لأنها كانت أعداداً تقديرية صرفة، وأنها تبين عدد أفراد هذه الجيوش في أماكن وأزمنة مختلفة عبر رحلتها إلى الأرض المقدسة، فقد كانت هذه الجيوش في بدايتها تضم أعداداً ضخمة من الجنود، وممن انضم إليها من الحجاج والمتحمسين، وهذا يتفق مع رواية أولدن برغ .Oldenbourg) Z: The Crusades, Tran. A. Carten. P.95)

الذي تذكر أنها كانت تضم ثمانية آلاف رجل وعشرة آلاف فارس.

وتناقص العدد بمن تخلف عن الحملة فأصبح قرابة الاربعين ألفا ما بين فارس وراجل وتابع وذلك عند دخولهم آسيا الصغرى، كما ذكر ستيفن.

Steven, W. The Crusades in the East, P. 34-37

وبعد الحروب التي خاضوها مع السلاجقة في آسيا الصغرى، وانفصال بلدين ومن معه وتأسيس إمارة الرها، انخفض عددهم إلى قرابة الأربعة آلاف فارس وستة وعشرين ألف راجل، كما ذكر مارتن.

Martin Erbstosser, The Crusades, Tran. from German, by C.S. Sait. P.9 1.

وذكر رنسيمان في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص٤٠٢ الترجمة العربية) نقلاً عن شاهد عيان هو ريموند اجيل

Rymond of Aguilers, xx. PP. 449- 430

أمير طولوز أحد أمراء تلك الحملة الصليبية المتحمسين، ذكر عدد الجيش الذي فتح القدس فقال: «ووفقاً لريموند اجيل، الذي يرق الشك إلى ما أورده من أرقام عن الجيش، بلغت القدرة الحربية الضاربة وقتذاك ١٢ ألف من الرجالة، ١٢٠٠ أو ١٣٠٠ من الفرسان، يضاف إلى هؤلاء عدد كبير من الحجاج، لم يحاول تحديد عددهم، فضلاً عن رجال أقعدهم كبر السن أو المرض عن مباشرة القتال، وعن النساء والأطفال».

(٥٠) William of TYre, oP.Cit,P 343

(٥١) أبو المحاسن (١٧٩/٥).

(٥٢) William of Tyre, oP.Cit P. 346

(٥٣) ابن الأثير، الكامل (١٨٦/٨).

(٥٤) د. عبد القادرْ اليوسف، المرجع السابق (ص.٥).

(٥٥) نفس المرجع السابق (ص ٥١).

(٥٦) د. عبد القادر اليوسف، مرجع سابق (ص ٥٦).

(٥٧) نفس المرجع السابق (ص ٥٧).
Comena, A. The Alexiad tran Dawas, vol. II (london, 1964) P.445

(٥٨) نفس المرجع السابق (ص ٥٨) انظر Oldenbourg. oP. Cit. P 95

(٥٩) نفس المرجع السابق Ibid P 95

(٦٠) نفس المرجع السابق Ibid P. 95

(٦١) د. عبد القادر اليوسف، المرجع السابق (ص ٥٩).

(٦٢) نفس المرجع السابق (ص ٦١) انظر Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch. (Princeton, 1944 P.44.

(٦٣) نفس المرجع السابق (ص ٦٣) Gibbon, E, oP. cit. P. 93.
انظر Gibbon, E, The Decline and fall of the Roman Empire Vol.6. (London 1964) P. 93

(٦٤) د. عبد القادر اليوسف، المرجع السابق (ص ٦٤).

(٦٥) نفس المرجع السابق (ص ٦٩).
انظر Pernoud , R. The Crusades, Tran. Mcleod, (London. 1964) P. 68

(٦٦) د. عبد القادر اليوسف، المرجع السابق
Runciman. OP. cit. P. 445

(٦٧) Stevenson, w The Crusaders in the East, (Beriut, 1968) P.32 -37
انظر ص ١٦، حاشية (١) من هذا البحث.

(٦٨) عاشور، الحركة الصليبية (٢٤١/١).

(٦٩) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (٣٩٥/١).

(٧٠) نفس المرجع السابق.

(٧١) نفس المرجع السابق (٣٩٧/١).

(٧٢) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (٤٠٢/١).

(٧٣) نفس المرجع السابق (٤٠٢/١). انظر حاشية (١) صفحة من هذا البحث.

(٧٤) ففي المرجع السابق (٤٠٤/١) «ولم يزد عدد من خرج من افتخار الدولة عن ٣٠٠ شخص»
الدباغ (١٦٦/١) حاشية١

(٧٥) غوستاف لوبون حضارة العرب (٣٢٦ ـــ ٣٢٧).

(٧٦) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (١٩٧)، د. فايد حماد عاشور.
جهاد المسلمين في الحروب الصليبية (١١٤).

(٧٧) انظر د. عاشور، جهاد المسلمين (١١٤).

(٧٨) غوستاف لوبون، حضارة العرب (٣٢٤).

(٧٩) نفس المرجع السابق (٣٢٥).

(٨٠) غوستاف لوبون، حضارة العرب (٣٢٦).

(٨١) غوستاف لوبون (٣٢٧).

(٨٢) المرجع السابق (٣٢٧).

(٨٣) د. فايد حماد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية (ص ١١٥).
ويقصد بالفروس (الأفراس) جمع فرس وهي أنثى الحصان.

(٨٤) ابن كثير، البداية والنهاية (١٥٦/١٢) حوادث سنة ٤٩٢.

(٨٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٢٨٣/١٠ ـــ ٢٨٤).

(٨٦) ابن الجوزي، أبو الفرج، فضائل القدس تحقيق د. جبرائيل جبور
دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠م (ص ١٢٥).

(٨٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
ط القاهرة ١٩٥٩م (ص ٤٢٧).

(٨٨) أي المعالم الإسلامية المميزة للحضارة الإسلامية.

(٨٩) يقصد كنيس اليهود.

• المصادر والمراجع •

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، ١٩٦٥ــ ١٩٦٦م.
- أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ٣ أجزاء، مطبعة الحلبي مصر.
- الأدريسي، نزهة المشتاق، القسم الخاص بفلسطين وسوريا، بون ١٨٨٥م.
- باركر، ارنيست، الحروب الصليبية تعريب عل أحمد عيسى، ضمن مجلد تراث الإسلام، ١٩٦٣م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج، فضائل القدس، تحقيق جبرائيل جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.
- الذهبي، محمد بن أحمد، دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
- رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨م الجزء الأول.
- الحرب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٩م.
- صالح مسعود بوصير، شعب فلسطين في نصف قرن، دار الفتح، بيروت، ١٩٦٨م.
- عاشور سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ح١، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧١م.
- عبد القادر أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب، في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، من سلسلة دراسات تاريخية رقم ٣، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- د. غوانمة، يوسف، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، دار الفكر، عمان.
- غوستاف لوبون، حضارة العرب، الترجمة العربية، القاهرة، ١٩٦٩م.
- د. فايد حماد محمد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.
- فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة زيادة.
- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م.
- ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر العربي، ١٩٣٢م.
- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، دار الكتب المصرية.
- د. نظير حسان سعداوي، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، مكتبةالنهضة المصرية ١٩٦١م.

Comena, A. The Alexiad, tran. Dawas vol. 11, (London 1962)

Fulcher of Chartre: A History of the expedition to Jerusalem. Tran, by Rita, (New york 1964).

Gibbon, E,: The decline and Fall of the Roman Empire, Vol, 6 (London 1964).

Martin-Erbstosser : The Crusades Trans, by C.S. Salt, (London 1979)

Marriott :The Eastern Question (oxford 1958)

New hall R: The Crusades. (N.Y. 1963)

Ogg, F: Source Book of Medieval History (N.Y.1907)

Oldenbourg. Z.: The Crusades Trans A, Carter. (N.Y. 1966)

Pernoud, R. The Crusades, tr. Mcloud. (london, 1964)

Runciman. S. : A History of the (Crusades.Vol,l.
(Cambridge 1957)

Strayer, and Munro: The Middle Ages. 395-1500 (N.Y 1942)

Stevenson. W.: The Crusaders in the East. (Beriut. 1968).

Vasiliev, A,: A History of the Byzantine Empire, 2. Vols. (Madison, 1964)

William of Tyre, History of deeds done beyond the Sea Trans. Babcock and King (N.Y. 1943)

Yew dale, Bohemond,1, Prince of Antioch, (Princeton, 1962)